ماذا يعني أن تكون مسؤولاً؟

إدارة الشأن العام أو الخاص مسؤولية كبيرة تقع على عاتق فرد من أفراد المؤسسة القائمة، انه الدعامة الرئيسة التي يرتكز عليها نجاح المؤسسة أو فشلها، فالمسؤولية فنّ وأخلاق، مهارة ودراية.. وجه بشوش على جديّة، ورقة في التعامل على صلابة، مع كل مَن يَفِد إلى المؤسسة أو كل من يعمل فيها... والحال اننا كثيراً ما نقابل مسؤولاً تراه منتفخاً وراء مكتبه كالطاووس في شكله، والطبل في مضمونه قد سحقته ديوانية الوظيفة والوساطة البغيضة فنسيَ نفسه وحسب انه قد ورث هذا المنصب عن أجداده، فجلس في برجه العاجي يحيط نفسه بحفنة من ذوي النفوس الضعيفة... فيترك لذاته من المسؤولية شكلها الظاهر، ويتخلى عن مضمونها لمن حوله من ماسحي الجوخ الذين يكوّنون إدارة داخل إدارة، يسرحون فيها ويعبثون بمقدراتها لقاء محاباتهم حضرة المسؤول الكبير الذي يغمض عينيه عن كل ما يقومون به ولو كان مضرّاً بحق المؤسسة أو بنظامها ومستقبلها، وتالياً بحق المواطنين. وكان جديراً بالمؤسسات أن لا تنسى أن الوظائف والمناصب قد أوكلها المواطنون، ولو على وجه غير مباشر، إلى أصحابها، وقد وضعتها الدولة كمرافئ تقوم جميعها على خدمة المواطن وتلبية حاجاته... فأنتَ اليوم في منصبك الفاخر هذا، سيأتي بعدك إنسان آخر ليتسلمه منك فكنْ له مثلاً للعطاء والتضحية واخدم الوطن بأخلاق مثلى تترك في الأذهان صورة عن مسؤول أخلص وأبدع... فارتقي وجاهد وكافح.. فسما.. وسما به الخلف الوطني الأصيل الذي نحن في حاجة ماسّة إليه، اليوم وغداً وفي المستقبل.

هل تراانا، بعد الكارثة التي ألمّت بنا وشاركنا في حدوثها بوجه أو آخر وبدرجات، نتمادى أكثر فأكثر في إهمال ما عند شرفائنا من الفضائل؟ هلا نبتدئ نتضامن ونتساعد وننفع مبدعينا ومنتجينا، أم ندع الحسد والارتهان والكبرياء والفساد والتوارث... تغنينا؟ متى نعوّد أنفسنا الاتفاق قلما في الأمور الضرورية؟ متى ننبذ جانباً الخاصمة والمشاحنة ومذمة بعضنا بعضاً وندع قضاءنا المنزّه يتدبّر أمر المجرمين؟ هل يجوز لكل إنسان أن يقول: ليس هذا من شأني؟ أفلا يُعدّ هذا القول جبناً ونذالة؟ فكل إنسان لا يعيش إلا لنفسه في هذه الحياة هو رجل أناني مضرّ بالمجتمع أكثر مما هو نافع له، يجب أن نتضامن لبثّ الحق ونشر الخير. وكما ان الله جلّ جلاله يقتص من بلاد بأسرها بسبب ذنوب بعض المجرمين، فهو يبارك بلاداً برمتها بسبب فضائل بعض الأولياء والقديسين والشرفاء العقلاء.

د. جهاد نعمان
استاذ في المعهد العالي للدكتوراه